



لماذا يجد بعض الأشخاص الله بطريقة لا يستطيعها الآخرون؟ لماذا يُظهر الله حضوره للبعض ويترك جموع آخرين يصارحون في ظلال اختبارٍ مسيحيٍ ناقص؟ بالطبع إن مشيئة الله واحدة لكل، فهو ليس لديه أشخاص مفضلين عن آخرين من أهل بيته، وكل ما يفعله لأي من أبنائه سوف يفعله لكل أبنائه. وإنما الفرق يكمن فينا نحن وليس في الله. لماذا يجد بعض الأشخاص الله بطريقة لا يستطيعها الآخرون؟ لماذا يُظهر الله حضوره للبعض ويترك جموع آخرين يصارحون في ظلال اختبارٍ مسيحيٍ ناقص؟ بالطبع إن مشيئة الله واحدة لكل، فهو ليس لديه أشخاص مفضلين عن آخرين من أهل بيته، وكل ما يفعله لأي من أبنائه سوف يفعله لكل أبنائه. وإنما الفرق يكمن فينا نحن وليس في الله.

وإنني أجزؤ على القول بأن الخاصية الحيوية التي تصنع هذا الفرق، والتي اشترك فيها القديسون عبر العصور مع اختلاف شخصياتهم، إنما هي ما أسميه بـ "المتفتح والمتقبل/الاستقبال الروحي". لقد كان هؤلاء القديسون يملكون وعياً روحانياً تعهدوه بالعناية وعملوا على رعايته حتى صار هذا الوعي أعظم شئ في حياتهم. فقد اختلفوا جميعهم عن الإنسان العادي في أنهم حين شعروا بالشوق في داخلهم فعلوا شئ تجاهه. لقد اكتسبت حياتهم عادة التجاوب الروحي كعادة ملازمة لهم طوال العمر. لم يكونوا غير طائعين للرؤية السماوية. أو كما وضعها داوود بوضوح حين قال: "لك قال قلبي: "قلت: اطلبوا وجهي". وجهك يا رب أطلب." (مز 27: 8)

إن "المتفتح والمتقبل الروحي" ليس شيئاً أحادياً بل أمر يتجمع فيه مزيج من عناصر عديدة في نفس الإنسان. إنه يحتوي على "انجذاب روحي"، "نزوع نحو..."، "تجاوب عاطفي ل..."، "رغبة للحصول على...". ومن هنا يمكن القول بأن "المتفتح والاستقبال الروحي" يمكن أن يتجمع ويتمثل بدرجات متفاوتة في القلة أو الكثرة بناء على الفرد، وقد يزداد بالممارسة أو يفضى بالإهمال. إنه ليس قوة سيادية لا تقاوم تأتي من فوق لتستولي علينا. نعم هو هبة من الله، لكنها الهبة التي لا بد وأن نعتبرها ونتعهدنا ونزاعها كأبي عطية أخرى إن كان لنا أن ندرك الغرض الذي لأجله أُعطيت لنا.

إن الفشل في رؤية ذلك هو السبب في المانهيار الخطير في حركتنا الإنجيلية المعاصرة. إذ أن فكرة تعهد "استقبالنا الروحي" بالعناية والمراعاة والممارسة، تلك الفكرة العزيزة لدى قدامى القديسين، لم يعد لها مكان في مجمل المساحة الدينية الآن. فهي فكرة بطيئة واهتياضية، بينما نحن الآن نطلب الفعل الدرامي المتدفق الساحر والسريع. إن جيل من المسيحيين قد شب على الآليات السريعة والمضغوط على الأزرار لا يطبق الوسائل البطيئة وغير المباشرة لتحقيق أهدافه. فما نفعه الآن هو أننا نحاول تطبيق وسائل عصر الميكنة على علاقتنا بالله. فنحن نقرأ إصحاح اليوم، وذاخذ تأملنا القصير، ونندفع في طريقنا على أمل أن نصلح مع إفساسنا الداخلي العميق بحضور اجتماع روحي آخر أو بالاستماع إلى أقصوصة أخرى تهز المشاعر من أحد المغامرين الدينيين الذين قد عادوا مؤخراً من سفرة بعيدة.

إن النتائج المساوية لهذه الروح، والتي تعمنا جميعاً، هي: حياة ضحلة، فلسفات دينية فارغة، ترجيح عنصر المرح في الاجتماعات الروحية، تمجيد الإنسان، وضع الثقة في مظاهر التدين الخارجية، لقاءات الشركة شبه الدينية، اتباع أساليب رجال المبيعات، الأخذ الخاطئ بالشخصية الديناميكية بدلاً لقوة الروح القدس. تلك الأشياء ومثيلاتها هي أعراض لمرض شريك، مرض عميق وخطير في النفس الإنسانية.

لا يوجد شخص واحد مسئول عن هذا المرض العظيم، كما إنه لا يوجد مسيحي واحد برئ بالتمام من اللوم. لقد أسهمنا جميعاً، سواء بطريقة مباشرة أو غير مباشرة، في هذه الحالة المحزنة. لقد كنا عميان بشدة عن أن نرى، أو خائفين بشدة من أن نتكلم، أو شاعرين بشدة بالرضا عن أنفسنا حتى أننا لا نرغب في أي شئ أفضل من الغذاء الفقير العادي الذي يظهر أن الآخرين به راضيين. بعبارة أخرى، لقد قبلنا نظريات وأفكار وانطباعات بعضنا البعض، وقلدنا حياة بعضنا البعض، وجعلنا خبراتنا هي المثل والأتمودج بعضنا لبعض. وبالنسبة للجيل بأكمله نزع الاتجاه نحو الهبوط والاندثار. والآن قد وصلنا إلى مستوى واطئ من الرمال وبددنا وأفنىنا آخر خطوط العشب، وأسوأ من ذلك كله قد جعلنا كلمة الحق تتشكل على خبراتنا وقبلنا هذا المستوى المسطح المنخفض على أنه مرعى البركات الوفيرة.

سوف يتطلب الأمر وجود قلب مصمم وشجاعة ليست بقليلة حتى نستطيع أن ننتزع أنفسنا بقوة ونطلق أنفسنا من قبضة زماننا هذا ونعود إلى المسالك الكتابية. لكنه ليس بالأمر المستحيل.

بين حين وآخر احتاج المسيحيون في الماضي أن يقوموا بمثل حركات العودة تلك بطريقة واسعة النطاق سجل التاريخ أناس مثل القديس فرانسيس الأسيزي ومارتن لوتر ووجورج فوكس وغيرهم ممن قادوها. مما يؤسف له أنه لا يوجد لوتر آخر أو جورج فوكس آخر يلوح في الأفق. على أي حال سواء كانت هناك حركة عودة كهذه متوقعة قبل مجيء المسيح أم لا، وهو ما لم يتفق عليه المسيحيون تماماً، فإن ذلك لا يمثل أهمية كبيرة لنا الآن. فلست أدعي أنني أعرف ما قد يفعله الله في سيادته على مستوى العالم،

ولكنني أعتقد بأني أعرف ما سوف يفعله الله لأي إنسان مجرد يطلب وجه الله، ويمكنني أن أخبر بذلك. دع أي إنسان يعود إلى الله في جدية، دعه يدرّب نفسه في التقوى، دعه يسعى لتنمية قدرات "المتفتح والمتقبل الروحي" لديه من خلال الثقة والمطاعة والتواضع، ولسوف تتعدى النتائج أي شئ قد تمناه في أيامه المنحدرة والضعيفة. إن أي إنسان بالتوبة والعودة الصادقة لله سيكسر القالب الترابي الذي احتجّز فيه ويرجع إلى الكتاب المقدس نفسه ليأخذ منه مقاييسه الروحية، لسوف يكون مسروراً بما يجده هناك. فالله يحاول على مر السنين أن يلفت انتباهنا إليه، ليعلن نفسه لنا ويتواصل معنا. ونحن نملك في دواخلنا القدرة على أن نعرفه فقط إذا استجبنا لعرضه وتجاوبنا مع مفاتيحه لنا (وهو ما نسميه السعي وراء الله). وسوف نعرفه بدرجة متزايدة حين يصير "استقبالنا الروحي" أكثر اكتمالاً بالإيمان والحب والممارسة.

.و. توزر"

من كتاب "السعي وراء الله"

ص 66 - 71